

الحياة الثقافية في الشمال الافريقي القديم: المكتبات أنموذجا

The cultural life in the ancient North Africa : libraries are a model

جميلة خالفي*
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)
البريد الإلكتروني: d.khalfi@univ-dbk.m.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/07 تاريخ القبول: 2023/07/24

الملخص:

يعالج هذا المقال جوانب من الحياة الثقافية لشمال إفريقيا في العصور القديمة. وفيه سأعرض بصفة خاصة إلى الدور الذي لعبته المكتبات في حفظ التاريخ القديم للمنطقة، والدور الذي لعبته في بناء مجتمعاتها باعتبارها مظهرا من المظاهر التي تتحدد من خلالها أشكال التفاعل الحضاري، وشرطا أساسيا لا غنى عنه لكل حديث يخص الواقع الثقافي كما تبلور في مسار حركة التاريخ الفكري لإفريقيا الشمالية حيث ساهم ظهور المكتبات في انتشار التعليم وتوسيع دوائره، بالصورة التي تجعله يدخل طبيعيا في تفسير ظاهرة بروز نخبة من مثقفي شمال إفريقيا التي تلقت تعليمها في المراكز الحضارية المعروفة في ذلك العصر، مثل: قرطاج، وأثينا، وروما. وقد كانت هذه المراكز على قدر كبير من الغنى بالمكتبات العامة والخاصة، التي أسهمت في إثراء معرفتنا بالنصوص الأدبية والفلسفية والمعرفية. وقد تمخض عن هذه الحركة العلمية والثقافية تأسيس مكتبات عامة وخاصة كمكتبة يوبا الثاني وتيمقاد... الخ. وقد ساهمت هذه المكتبات في الحفاظ على الكتب التي تم تأليفها ووضعها في متناول القراء، كما كانت منبرا مهما للنقاش العلمي.

كلمات مفتاحية: شمال إفريقيا، المدارس، المكتبات، التعليم يوبا الثاني تيمقاد

ط

Abstract:

This article deals with aspects of the cultural life of North Africa in ancient times. In it i will deal particularly with the role played by the libraries to preserving the ancient history of the region and, the role these libraries played to building their societies as one of the manifestations through which the forms of civilized interaction are determined , and an indispensable prerequisite for every discussion of cultural reality as it crystallized in the course of the movement of intellectual history. For North Africa, where the emergence of libraries contributed to the spread of education and the expansion of its circles, in a way that makes it naturally enter into the interpretation of the phenomenon of the emergence of an elite of North African intellectuals who received their education in the well-known civilized centers of that era, such as: Carthage, Athens, and Rome. These centers were rich in public and private libraries, which contributed to enriching our knowledge of literary, philosophical and cognitive texts. This scientific and cultural movement resulted in the establishment of public and private libraries, such as the Yuba II Library and Timgad...etc. These libraries have contributed to preserving the books which were written and have been made available to the readers. Also, they were an important platform for scientific discussion

Keywords:

North Africa, schools, libraries, education - Yuba II, Timgad

مقدمة:

كشفت الدلائل الأثرية والأدبية عن العديد من المؤسسات الثقافية في الشمال الإفريقي القديم كالملاعب الرياضية والمؤسسات التعليمية و المسارح ،وبناء المكتبات ،وقد اهتم الانسان منذ الأزل بتدوين تجاربه ،وحفظها ،من مختلف عوامل الاندثار والزوال وعليه فالمكتبة كانت ولا تزال ركيزة أساسية من ركائز التعليم ونشر المعرفة عبر الزمن، وأيضاً وسيلة في خدمة نشر الوعي الثقافي والتواصل بين الشعوب.

عرفت المكتبات انتشاراً كبيراً في شمال إفريقيا، ولا تزال آثار هذا الانتشار قائمة إلى اليوم . ويمكن البرهنة على ذلك بمكتبة تيمقاد التي تعد أحسن مثال على تواتر الاهتمام - بدءاً بالعهد القرطاجي وحتى نهاية العهد الروماني - بتنشيط الحياة الثقافية وتشديد الحرص عليه ونقل مركزه إلى المكتبة وإعطائها المشروعية باعتبارها وسائل أساسية من وسائل التعليم والتثقيف والترفيه . ؛ ومن البديهي، والحالة هذه، بقي التعليم أساس الحياة الثقافية ومركزها، والدافع المحرك للعديد من المثقفين في الشمال الإفريقي أمثال :فروتون،أبوليوس،أوغسطين...الخ إلى تعميق الاهتمام بالعلم والتأكيد على آثاره العميقة على حياة الانسان وتطوره الثقافي والحضاري بشكل عام. وتكفي العودة هنا إلى المصادر الأدبية والأثرية لإدراك الأهمية التي حظي بها الانتاج الفكري الذي زخرت به المكتبات في تلك الحقبة من تاريخ المنطقة، ودوره في تطور الحضارة الإنسانية. ،فما هي الخصائص المميزة للحياة الثقافية في شمال إفريقيا؟وما الدور الحضاري الذي لعبته المكتبات آنذاك؟ .

1.نظرة عامة عن الواقع الثقافي في شمال افريقيا:

شهد التعليم في شمال افريقيا القديمة،الفترة الرومانية على وجه الخصوص، انتعاشاً متميزاً،إن نظرة أولية إلى المصادر التي تؤرخ إلى هذه المرحلة التاريخية تكشف عن وجود مراكز تعليمية في المدن الكبرى، نذكر في الجزائرمدينة سيرطا Cirta (قسنطينة)وتيفست Thevest (تبسة)، ومادور Madaure (سوق اهراس) ، وقيصرية Caesarea (شرشال)¹ ويرجع الفضل في ازدهار هذا النوع من مراكز التعليم لانتشار التعليم بين افراد الطبقة الوسطى. ويتضح أيضاً الوعي بالأهمية التي يتمتع بها التعليم كنشاط معرفي خلاق من خلال اعتماد برامج تعليمية تتوزع على أطوار ومراحل تبدأ بالمرحلة الابتدائية وتمر بالمرحلة الثانوية وتنتهي بالتعليم العالي. وسيصبح هذا التنظيم ذاته جزءاً من الممارسة التعليمية في روما وشمال إفريقيا على حد سواء. إن الذي يَسَّرَ هذه الممارسة التعليمية هو أن الوثائق المحصل عليها تظهر أن التعليم الابتدائي يكون قد بدأ العمل به في روما وشمال أفريقيا في الوقت نفسه، وتستغرق مدة التدريس خمس سنوات يتعلم التلاميذ فيها القراءة والكتابة والحساب².

أما التعليم الثانوي فلم يظهر عند الرومان إلا في القرن 3 ق.م. وهي فترة كانت فيها الثقافة مزدهرة في قورينا (Cyrénaïque) بشمال إفريقيا. ، ولم يأخذ التعليم الثانوي عند الرومان صيغته النهائية إلا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد (1 ق.م). حيث صارت نصوص بعض الشعراء اللاتينيين، مثل Virgile مادة للتدريس بالمدارس الثانوية. ويقوم بالتدريس بالتعليم

¹ -نصيرة ساحير،قرطاجة عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب خلال العهد الامبراطوري الروماني 27 ق.م،429،مجلة الحكمة،ع.24، 2013، ص255

² - عبد السلام ميس،مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة،دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها،ط2،الرباط،2010،ص33

الثانوي استاذ نحوي وتستغرق مدة التعليم سبع سنوات. يعتمد مقرر الدراسة بالثانوي على تلقين النصوص الكلاسيكية شعراً أكانت أو نثراً)، سواء باللغة اليونانية أو اللاتينية.. ومن بين الشخصيات المدروسة آنذاك : الفيلسوف الأمازيغي ابوليوس المداوري (Apulée) (125 - 180 de Madare ق.م.) و الشاعر فيرجيل والكاتب كيكرو (Ciceron) وأوريبيد (Euripide) 406 ق.م.³

ساهمت العديد من الأسماء العلمية والفكرية المشهورة أمثال: مكيبسا ، فلوروس ، يوبا الثاني، تيرتوليانوس القرطاجي ، وأبوليوس المداوري ،وسانت أوغسطين وغيرهم في إثراء القراءة للنصوص الأدبية والفلسفية وللآثار العلمية بأبعاد معرفية جديدة ،غير أنهم لم يكتبوا بخطوط لغة الأم ، وهو ما يدحض فكرة أن الأفارقة لا يملكون ثقافة مكتوبة " وإنما تفاعل قدماء الشمال الافريقي مع اللغات الوافدة وأتقنوها وعبروا بها عن أفكارهم"⁴ فمنهم من كتب باليونانية مثل هيمبسال و بالاغريقية مثل يوبا الثاني وباللاتينية كأغسطينوس في الفترة الرومانية ، فبرعوا في تعلم فنون وتذوق الآداب التي عرفت الرقي والتطور العلمي آنذاك بانفتاحهم على لغات وثقافات العالم القديم لا سيما الاغريقية التي اعتبرت لغة العلوم والفنون آنذاك"⁵ .

أما نظام التعليم العالي: فقد ظهر في قورينا أو المدن الخمس قبل القرن الأول قبل الميلاد وهو زمن أسبق من الزمن الذي ظهر فيه في روما ، وذلك نظرا لاستفادة منطقة قورينا من الثقافة اليونانية، وكانت مادة الريتوريقا. Rhétorique من أهم المواد الأساسية المدرسة بحكم أهميتها لشغل المناصب السياسية والقضائية،ولكن، رغم ظهور مدرسة ريتوريقية عند الرومان، لم تكن الدروس تُعطى باللاتينية بل باليونانية، سواء في روما أو في شمال إفريقيا.⁶

2-1. نماذج من الانجازات الفنية والفكرية والعلمية:

كشفت المصادر المادية في الطاسيلي وجود العديد من اللوحات الجدارية التي تثبت براعة شمال افريقيا في فن النحت والتصوير إلى درجة الكمال. تتجلى هذه المشاهد الصخرية في أجمل صورها عندما ترصد الكيفية التي يتم من خلالها وصف الحياة اليومية للإنسان في ذلك الوقت وتجربته وحضارته وطرق تفاعله مع الآخرين.

وتأتي أهمية اللوحات الجدارية في كونها أجمل المشاهد الصخرية التي يمكن أن تتجلى من خلالها الكيفية التي يعيش الانسان في حياته اليومية في تلك الحقبة الزمنية ومعرفته العملية بالعربة. . ويمكننا التعرف عليها بصفة خاصة بالعودة إلى المشاهد التي خلفتها لنا الرسومات الصخرية بمنطقة الطاسيلي . وقد أشار هيرودوت، على نحو جيد، الى أن سكان شمال افريقيا كانوا متطورين بصنع العربات وأن الاغريق أخذوا عنهم تقنية جر عرباتهم بأربع خيول⁷، ويعتبر استخدام سكان التاسيلي والهقار والأطلس الصحراوي حسبما تثبتته الرسوم الصخرية بتلك المناطق للعربة دليلاً على تفكيرهم وإدراكهم للمعرفة الحركية واستغلالهم للشكل الدائري في خلق الحركة للعربة، ومن البديهي أنهم لم يتوصلوا لهذا الشكل إلا بعد الملاحظة والتجربة والتفكير وهاته الخصائص من أسس المعرفة العلمية⁸. إلى جانب استعمالهم

³ - المرجع نفسه، ص33

⁴ - العربي عقون، المجتمع والثقافة في الشمال الافريقي القديم، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 43، جامعة قسنطينة، جوان 2015، ص27

⁵ - عبد السلام ميس، المرجع السابق، ص32

⁶ - وفاء بوغرارة، الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة و وتأثير الثقافات الوافدة 146 ق.م-431م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، 2013-2014

ص66 ، عبد السلام ميس ، المرجع السابق، ص35

⁷ - Hérodote, IV, 189-

⁸ -مقدم بنت النبي، الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة، دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 8، 2018، ص 319-320

للجمال في تنقلاتهم و حروبهم ومعاركهم⁹. ولا شك أن فسيفساء¹⁰ الشمال الافريقي هي بمثابة ثورة تقنية وفنية ترتبط بالعالم الواقع والعالم المقدس تحتوي مواضيعها على احياءات ودلالات متنوعة منها فسيفساء تيبازة بالجزائر، فسيفساء السيد يوليوس بقرطاج، فسيفساء بلاريجيا بتونس... الخ وهي مصادر مادية حية تزودنا بمعلومات حية مباشرة وغير مباشرة عن حياتهم¹¹. وكان المسرح والموسيقى من أهم الفنون في العالم القديم حيث وجدت عدة منشآت ترفيهية بالمنطقة كمسرح قرطاج بتونس ومسرح تيمقاد، وتيبازة... الخ¹². إلى جانب أقواس النصر التي وجدت في معظم المدن الرومانية كما هو الشأن في دقة وسيطلة وجميلة، وتراجانوس بتيقاد، سبتيموس سيفيرويس في لمبيز، وكركلا بتبسة¹³

كما يعود للأفارقة الفضل في معرفة أقدم الكتابات الصوتية للغة التيفيناغ، وهو ما أكدته الأثرية مليكة حشيد التي استطاعت العثور على لوحات مكتوبة بالتيفيناغ يعود تاريخها إلى 1500 سنة قبل الميلاد، وهي الكتابات ذاتها التي استعملت على شواهد القبور، والصخور، والحلي، ووشم الجسد.... الخ¹⁴.

على الرغم من قلة المعلومات المتعلقة بالإنجازات العلمية للأفارقة، فإن ما وصلنا إلى من بعض المصادر التاريخية يشير إلى بروز العديد من المثقفين الأفارقة الذين أثروا الثقافة الفكرية بإنجازاتهم وكتاباتهم التي أنجزوها بلغات العالم القديم. وهي أكبر دليل على بلوغهم شأنًا عظيمًا آنذاك¹⁵، منهم مكيسا، فلوروس، تيرتوليانوس القرطاجي، يولييانوس الحضرومي، ألوس كيلوس... الخ¹⁶ وكان أول من كتب الرواية الأديب الفيلسوف أبوليوس المادوري (Apuleius de Madaure) "Lucius Apuleius Theseus" من مداورش (Madauros).

كما عرفوا بفن الريطوريقا (البلاغة) وكان من أشهرهم فرونتون السيرتي (Fronton de Cirta) الذي استقدمه الإمبراطور هدران إلى روما وعهد إليه بتدريس ولديه ماركوس أورليوس Marc Aurele وفاروس (Varus)¹⁷، وفي المجال العلمي يعد لماغون القرطاجي أول من ألف موسوعة فلاحية حول النبات¹⁸، كما يعتبر أغسطين ابن سوق اهراس (Thagaste) الذي ألف العديد من الكتب وهو أول مؤسس للأوطوبيوغرافيا (فن السيرة الذاتية) في الفكر الإنساني في ثلاثة عشر كتاباً وصاحب نظريات فلسفية ولاهوتية عدة، وعموماً يمكن القول أن الافارقة أسهموا اسهاما مهما في الآداب والعلوم والفنون، والمسرح، والرقص، والغناء، والموسيقى، والشعر، والعمارة والخطابة والفلسفة.... الخ¹⁹.

⁹-جميل حمداوي، المرجع السابق، ص7

¹⁰-الفسيفساء هي لوحات فنية ذات أشكال هندسية كانت تصنع بمكعبات صغيرة من خامات ومواد مصنعة كالحجارة والرخام، والبازيليت، أو الزجاج والقرميد والخزف، تستخدم في الأرضيات ولتزيين الجدران، للمزيد أكثر حول أنواع الفسيفساء و أماكن تواجدها، مواضيعها أنظر: بنت النبي مقدم، الفسيفساء في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع.30، موريتانيا، 2018، ص123 وما بعدها.

¹¹-الببضايوية بلكامل، المرأة من خلال فسيفساء شمال افريقيا، أصنافها، أدوارها ووظائفها، مجلة أمل، العددان 13-14، 1998، الدار البيضاء ص 8 وما بعدها

¹²-شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية، للنشر 196م، ص242

¹³-جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، دليل آثار تيمقاد، باتنة، 2001.

¹⁴-جميل حمداوي، المرجع السابق، ص-115114

¹⁵-مقدم بنت النبي، الحياة الادبية...، المرجع السابق، ص326

¹⁶-للمزيد حول أشهر الكتاب المثقفين المغاربة أنظر عبد السلام ميس، المرجع السابق، ص69 وما بعدها.

¹⁷-العربي العقون المرجع السابق، ص35 -

¹⁸-نفسه، ص30

¹⁹- جميل حمداوي، المرجع السابق، ص7-135

2. المكتبات:

تعتبر المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية في شمال إفريقيا حيث كشفت المخلفات الأثرية عن العديد من المكتبات، وعلى اعتبار اهتمام الأفارقة بالتعليم وشغفهم باكتساب المعارف فقد خلفوا لنا العديد من المؤلفات مما استلزم وجود مكتبات تحفظ هذا الزخم المعرفي المتنوع الذي ساهم بشكل جلي في الحياة الثقافية والفكرية للمدن الإفريقية، فما هي أبرز وأهم المكتبات التي عرفتها، وأنواعها؟ مصادر تمويلها وطرق حفظها؟.

2-1 مكتبة قرطاجة :

ذكر بلينيوس القديم (Plinie l'ancien) أن المصادر والآداب القرطاجية التي كانت تزخر بها مكتبات شمال إفريقيا، هي مصادر وآداب دونت على مواد قابلة للتلف، الأمر الذي ساعد على احتراق معظمها عند إضرام النار في المدينة سنة 146 ق.م خلال الحرب البونية الثالثة و ما بقي من تلك المؤلفات تم تحويله بأمر من مجلس الشيوخ الروماني إلى الأمراء النوميديين⁽²⁰⁾. و جزءا مما بقي في مكتبات قرطاجة نقل إلى مكتبة يوبا الثاني ملك موريطانيا الذي كان يتكلم اللغة اللاتينية، والإغريقية و البونيقية⁽²¹⁾.

وقد تم بعد ذلك إعادة احيائها في الفترة الرومانية لتصبح مكتبة قرطاجة أكبر مكتبة في شمال إفريقيا، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال كتابات الروائي أبوليوس²² Locius apuluis²³ إذ يقول مفتخرا في كتابه الأزاهير بمدينة قرطاج: "فإنني أستطيعكم الإذن في نقل مشهدي، لا إلى مدينة أخرى بعيدة فيما وراء البحار، بل إلى مجلس الشيوخ أو المكتبة العامة في (قرطاجة) (أسألكم الإذن، إذا كان أي من أحاديثي جديراً بمجلس الشيوخ، أن تتخليلوا أنكم تصغون إلى داخل جدران مجلس الشيوخ ذاته. وإذا كانت كلماتي كرونيدي الحمار تكشف عن علم فأرجو أن تنظروا إليها وكأنكم تقرأونها في المكتبة العامة. لكم أود أن أجد كلمات كافية لإنصاف عظمة هذا المجلس وألا أتلجلج حيث أبغي أن أكون أفصح الفصحاء..."²⁴، وفي دفاعه عن نفسه عندما اتهم بممارسة السحر الشعوذة، أجاب انه يعرف أسماء السحرة المشهورين مشيراً إلى تردده ومطالعة الكتب في المكتبة العامة بقرطاج مستهزئاً بمتهميه لعدم دخولهم مكتبة في حياتهم²⁵، مشيراً أيضاً إلى تعلمه الأدب والبلاغة والنحو وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ثراء مكتبة قرطاجة بمختلف المصادر في الأدب والبلاغة واللغة، مما أهله لتأليف العديد من المؤلفات القيمة في مختلف المواضيع.²⁶

أما موقع المكتبة فانطلاقاً من وصف أبوليوس فأنها تقع شرق البازيليك في بيرصا Byrsa لكن هذا المبنى لا تتجاوز أبعاده 06 متر في العرض وتسعة 09 متر في الطول. ويشير غياب الرفوف، Les niches على جدرانها إلى أنهم كان يستعملونها كقاعة

²⁰ - Plinie l'Ancien, Histoire Naturelle, Trad.E.Lettre, éditions, collection des auteurs latint de M.Nisaid, Paris 1877, XVIII, 22

²¹ - Plutarque, Vie des hommes illustres. Trad. Alexis Piéron éditions charpentier, Paris 1853, Plinie l' Ancien, op.cit, V, 16

Cagnat(R), « Les Bibliothèques municipales dans l'empire romain », CRAI, 38, 1, 1909, pp 1 – 26-22

²³ - هو ابن مدينة مادور (Madaure) مداوروش التي ولد ما بين 124 و 125م. درس الخطابة والشعر و الموسيقى و الهندسة، و للفلسفة كتب في مواضيع متنوعة منها كتاب "التحويلات" أو "الحمار الذهبي" Metamorphos " و " المرافعة (Apologie) و الأزاهر Les florides و تعد روايته "التحويلات" أو "الحمار الذهبي" أشهر ما ألفه و هي أول رواية كتبت باللغة اللاتينية تصلنا كاملة، تتكون من واحد وعشرين كتاباً، للمزيد أنظر بشاري محمد الحبيب، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الافارقة في انعاشها مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، العدد 20، 2013، ص 36

²⁴ - أبوليوس: الأزاهير، ترجمة علي فهمي خشم، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، 1979، ص 91-92

²⁵ - Noureddine Tlili. Les bibliothèques en Afrique romaine. In: Dialogues d'histoire ancienne, vol. 26, n°1, 2000. p. 156.

<https://doi.org/10.3406/dha.2000.2417DOI> :

²⁶ - وابل امحمد، التواصل الحضاري هيبروريجيوس Hippo Regius (غابة) أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران 2021-2022 ص 108

مخصصة لإلقاء الخطب والمحاضرات فقط التي تحدث عنها أبوليوس وعليه يمكن أن نخلص أن مكتبة قرطاجة ضخمة وراقية يحضر بها نخبة المجتمع من الشعراء والخطباء والعلماء²⁷. و أن انتشار المكتبات بقرطاجة وكثرتها دليل على انتشار الثقافة و العلم والتأليف بها.²⁸

2-2 مكتبة يوبا الثاني:

اهتم يوبا الثاني Juba II الذي قال عنه بليني أن شهرته العلمية تفوق شهرته بملكه وحكمه²⁹ بإنجاز المراكز الثقافية أشهرها معهد الموسيقى، والنحت، كما أنشأ معهدا لتدريس التمثيل بعاصمته شرشال³⁰ Caesarea، وأنشأ أيضا مكتبة عامة بشرشال وجمع في قصوره الخاصة كل المخطوطات والكتب النفيسة.... ولا شك أن المؤلفات الإغريقية أخذت حصة الأسد من خزائنه، بالإضافة إلى المخطوطات اللاتينية. والبونيقية...³¹

ولا غرابة في هذا لرجل فقد لمع صيته فكرا وعلمًا وثقافة، وكتب في مواضيع جمّة وضع فيها عصارته العلمية لنستقي من هذا العالم الفذ الفيلسوف والروائي والخطيب. يقول استيفان اكسيل في هذا الشأن " ولما قرر أهل أثينا، وهم قوم لا يشق غبارهم في المجاملات أن يكرموا هذا العاهل الذي يسود منطقة واسعة أقاموا تمثاله بالقرب من إحدى خزانات الكتب، ويرى فيه بلوتارك: أفضل المؤرخين الذين وجدوا من الملوك ولكن يلاحظ بواسي Boissier إن كلمة بلوتارك هذه ليس فيها مدح كبير ليوبا. ثم يضيف بلوتارك قائلا: وهو يعد من أعلم المؤرخين الأغريقين وهذا مديح لا يشوبه خبث ويثني الغير على علمه المتنوع وحياته التي كرست بأجمعها لدراسة الآداب³²

وتنوع موضوعات هذه الكتب على ميادين كثيرة منها: التاريخية والجغرافية واللغوية والطبيعية، والشعر، والفنون ك: الموسيقى والتمثيل، والرسم؛ ولكنها ضاعت بكاملها.³³، كما يمكننا التعرف على اشارات من كتاباته من خلال المصادر الاغريقية واللاتينية،الذين نقلوا عنه الكثير من المعلومات العلمية³⁴.

تضمنت مكتبة يوبا الثاني، الكتاب المعلنون ب ليبيكا - Libyca، بأجزائه الثلاثة والذي قال استيفان أنه فقد ...، تحتوي على مواد متنوعة من الجغرافيا، إلى التاريخ الطبيعي إلى الميثولوجيا (mythologie) وغير ذلك. كما تتضمن وصف سواحل افريقيا الغربية، و جبال الأطلسي. وذكر نتائج بحثه عن النيل وعن جزر الكناري...³⁵. كما تعرض في كتاباته للمجتمع الأمازيغي بعاداته، ولغته وتقاليده؛ كما ألف كتابا آخر يبحث في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية سماه: آرايكا Les Arabica الذي اهداه لكاينوس قيصر، كما ألف كتابا آخر عن الاشوريين في جزأين نشره في بداية القرن الثالث حول نبو خد نصر وحملاته على الفينيقيين واليهود³⁶. كما ألف رسالة صغيرة عن نبات افورب، وكتاب الأشباه في 15 جزء، وكتاب تاريخ روما، وكتاب عن فن الرسم والرسمين في 8 أجزاء³⁷ كما

-- Nouredine Tili, op.cit, P156-157-27

Hédi Dridi, Carthage et le monde punique, éd., les belles lettres, Paris, 2006, p 195 - 28

Plinie L'ancien, Histoire naturelle ; V1.16 29

30-بوزباني الدراجي، الفياثل الامازيغية أدوارها، مواطنها، عابانها، ج.1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص.89

31- ستيفان أكصيل: تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء 8، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص221

32- نفسه، ص219

33-بوزباني الدراجي، المرجع السابق، ص55

34-ساحير نصيرة، سيرة بليني الأكبر أشهر مصادر تاريخ الجزائر القديم، مجلة الباحث، المجلد 13، العدد 1، 2021، ص44-67

35- ستيفان أكصيل: المرجع السابق، ص229

36- ستيفان أكصيل: المرجع السابق، ص233

37-جميل حمداني، يوبا الثاني الملك الأمازيغي المثقف، شبكة الألوكة، ص9

اهتم يوبا الثاني بنشر الفنون فأنشأ معهدا للموسيقى بشرشال لتدريسها ونشرها، وألف بنفسه موسوعة موسيقية ضخمة بالاضافة إلى معهد النحت بشرشال³⁸.

فكان من الطبيعي أن تكون لهذا العالم المثقف الموسوعي مكتبة بمختلف المخطوطات الاغريقية والرومانية وكذا عدد من النساخ و في هذا الصدد يقول استيفان قزال: "كان لابد له لإجراء بحوثه وكتابات، من خزانة حسنة ومن عدد كبير من الناسخين والملخصين، وربما حتى من المساعدين الذين لهم منزلة أعلى. وكانت ثروته الملكية تجدد في هذه المصاريف مساغا كريما". واشتهر عنه أنه كان يؤدي الثمن بسخاء...³⁹.

2-3 مكتبة مدينة تيمقاد :

تم اكتشاف بناء مكتبة تيمقاد سنة 1901 م وقد بنيت في عصر تراجان⁴⁰ من قبل م. بالو M.Ballu ورونيي كانيا R.Cagnat غير أنهما لم يتعرفا في البداية على حقيقة المبنى، حيث أن الجزء الأيمن من النقيشة المكتشف لم يفصح عن معلومات دقيقة عن نص النقيشة، إلى غاية العثور على الجزئين المتبقين به⁴¹.



بقايا مكتبة René cagnat, les villes d'art celebres ; Carthage, timgad, tébessa, ... p105

تييمقاد

حيث كشفت حفريات تيمقاد عن مبنى غير عادي إلى حد ما تم تحديده من خلال نقيشة كمكتبة عامة في عام 1906.⁴²

يقول نص النقيشة أنه في القرن الثالث الميلادي السيناتور ماركوس فلافيوس يوليوس كوينتيانوس روجاتيانوس Julius Quintianus من أثرياء المدينة تبرع بمبلغ كبير قدره 400,000 سيسترسيس لبناء مكتبة. قامت المدينة ببناء المكتبة وتقديرا للمتبرع نصب له تمثالا فخريا له.

³⁸ - يوزيانى الدراجي، المرجع السابق، ص 90

³⁹ - ستيفان أكصيل: المرجع السابق، ص 221

⁴⁰ - Lionel Casson., Libraires in the ancient world, Yale University Press/New Haven and London, 2001 p118

⁴¹ - Cagnat(R), « Les Bibliothèques municipales dans l'empire romain », CRAI, 38, 1, 1909, p 10

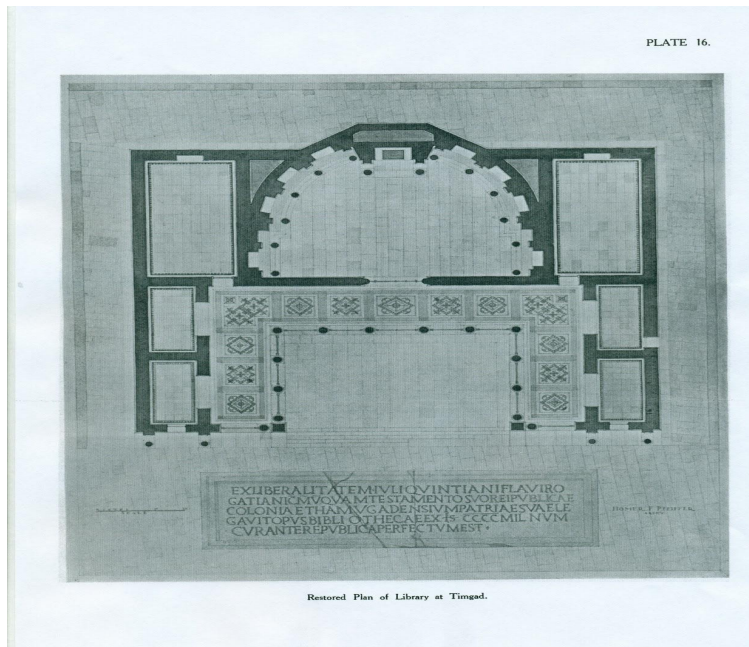
⁴² - LionelL Casson., Libraires in the ancient world, Yale University Press/New Haven and London, 2001 p118

I QIVINTIANI FLAVI RO GATIANI CMV QYAM TESTAMENTO SVO
REIPVBLICAE COLONIAE THAMVGADENSIVM PATRIAE SVA E LE
GAVIT OPVS BIBLIOTHECAE EX HS CCCC MIL NVM CVRANTE
REPVBLICA PERFECTVM

Ex liberalitate M. Juli(i) Quintiani Flavi(i) Rogatiani clarissimae) memoriae) viri)
quam testamento suo reipublicae coloniae Thamugadensium patriae suae legavit opus
bibliothecae ex sestertium CCCC millibus) num(mum) curante republica⁴³

أما موقع المكتبة فهي تقع على الجهة اليسرى من الطريق الشمالي الجنوبي للمدينة ،وتبلغ مساحتها الكلية 26م x 25 م ،اتخذت شكل نصف دائرة تواجه الداخل إليها مشكاة كبيرة وضع فيها ولا شك تمثال الآلهة مي نرفا⁴⁴ حيث عثر عليه على رأسه بالقرب من المبنى في الجدران الجانبية في الطابق السفلي.⁴⁵

كان عدد المخطوطات في مكتبة تيمقاد قليلا إلى حد ما مقارنة بالمخطوطات المتواجدة بالمكتبات الكبيرة للإمبراطورية. في الغرفة الرئيسية للمكتبة كان هناك على الأرجح ستة عشر خزانة كتب بعرض 1.25 متر وعمق 50 سم وارتفاعها حوالي 2 متروهي محاطة بغرفتين مستطيلتين⁴⁶ وقد بلغ عدد المجلدات للغرفة الداخلية 6800 وللغرف الأخرى 16200 فيها وبالتالي فإن تعداد المجلدات بمكتبة تيمقاد حوالي 23000 مجلد⁴⁷.. وتبقى هذه الأرقام مجرد تقديرات.



Af مخطط أرضي لمكتبة تيمقاد
Ole Olesen-Bagneux
,op.cit.p8

⁴³ Cagnat(R),op.cit.p11

⁴⁴ اندري جوليان، المصدر السابق، ص245-

⁴⁵ René cagnat,les villes d'art celebres ;Carthage,timgad,tébessa,librairie renouard ,H ,laurensm-1909 ;p105

⁴⁶ Konrad vossing ,die offentlichen bibliotheken in africa,in lafrica roman editrice archivio fotografico sardo Sassari;1992, P175

⁴⁷ René cagnat,les villes d'art celebres ;Carthage,timgad,tébessa,...p105

2-4 مكتبة مدينة بولاريجا (Bulla Regia)⁴⁸ :

دلت التنقيبات الأثرية التي قام بها الأثري مارسيل لغلاي Marcel Leglay إلى وجود مكتبة في مدينة بولاريجا. تقع هذه المكتبة في المكان المسمى المنتزه الثاني " وهو فناء كبير مستطيل طوله 50 م وعرضه 30 م ، تحيط به أروقة من ثلاث جهات، ويقع إلى الغرب من المدينة، توجد بها غرفة كبيرة نصف دائرية ، محاطة بثمانية أعمدة ، ولاحظ الأثري مارسيل بولاريجا وجود 05 تجاويف ، مرتبة في الجدار الخلفي للرواق الكبير ، وجد المبنى ضمن ما يعرف بمجموعة سيفيروس Severus Septimius العظيمة ، ويعود تاريخها إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد⁴⁹ . وحسب الأثري مارسيل لغلاي فإن مخطط بناية المكتبة يشبه مخطط مكتبة تيمقاد المأخوذ من المكتبة الرومانية في تولوم باكيس Templum Pacus لفاسباسيان ومكتبة بومباي.⁵⁰

من ناحية أخرى ، وفي دراسة حديثة ، تولى روجي حنون R.Hannoun ملف مكتبة بولا ريجيا. استنادًا إلى الأدلة المعمارية والأثرية التي تم العثور عليها، فند الأثري فرضية مارسيل ليغلاي ، التي تفيد بوجود مكتبة في النصب التذكاري الذي يطلق عليه اسم " مجموعة سيفيروس Severus Septimius العظيمة " . وقد أصر على حقيقة أنه من الصعب تحديد مبنى المكتبة في العمارة الرومانية.

مهما كانت طبيعة هذه الفرضيات والتفسيرات المختلفة التي تمت صياغتها حتى الآن فيما يتعلق بمكتبة بولا ريجيا، فمن المهم الإشارة إلى الدور الذي لعبته مدينة بولا ريجيا في تكريس اللغة والحروف اللاتينية. واكتسبت قوة وحضورا باعتبارها مركز الأنشطة العامة والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، وتقع هذه المكتبة في المنطقة الغربية لقرطاج، وهو موقع أهلها لأن تكون مركزا سياسيا، واقتصاديا ودينيا، وثقافيا، ولهذا نجد درجة عالية من الحرص من قبل المصالح الرومانية إدارتها وهو ما يؤكد وجود مكتبة تم تمويلها من طرف إدارة البلدية الرومانية.⁵¹

2-5 مكتبة كنيسة هيون لأغسطينوس: bibliotheca Ecclesiae Hipponensis

كانت هذه المكتبة حكرًا للقديس أوغسطينوس ، حيث كانت تضم مجموعة كبيرة من عناوين الكتب التي تخص المخطوطات المسيحية ، كانت مفتوحة فقط لضيوف الأسقف أو رجال دينه. و الرهبان والرهبات ، الذين خصصوا لها جزء كبير من وقتهم للقراءة.⁵² وكذا الصيانة والنظافة.⁵³

⁴⁸ - بولا ريجيا " Bulla Regia تحتل بولاريجا الأثرية موقعا استراتيجيا قرب مدينة جندوبة شمال غرب تونس. ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد. خضعت المدينة عام 203 ق.م للرومان قبل حتى تصبح عام 156 ق.م عاصمة للملك النوميدي ماسينيسا، حليف روما. شهدت المدينة حالة من الركود أثناء العهد البيزنطي ليهجرها سكانها شيئا فشيئا وتختفي معالم الحياة فيها بداية من الألفية الثانية. ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر أقيمت أول الحفريات فيها وتم الكشف عن عدة معالم وأثار طوال القرن العشرين. يحتوي المسقط حاليا على عدة معالم (فوروم، مسرح أثري، حمامات) أغلبها يرجع إلى العهد الروماني. يضم المسقط أيضا متحفا يعرض لوحات فسيفساء وتوابيت إضافة لعدة أثار تعود إلى العهد القرطاجي، النوميدي أو الروماني".
<https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5edee5135809e830e87c15c0>

⁴⁹ Walid Ben Akacha, « Le développement urbain de Bulla Regia, ville polycentrique de l'Afrique proconsulaire », Mélanges de l'École française de Rome - Antiquité [En ligne], 128-1 | 2016, mis en ligne le 02 mars 2016., URL : <http://mefra.revues.org/3412> Nouredine Tlili, 2000; P161

⁵⁰ - بوقفة نور السادات ، سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها، 146 ق.م-430 ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة أدرار ، 2016، ص163

⁵¹ Nouredine Tlili 2000 P162-

⁵² Konrad vossing ,die öffentlichen bibliotheken ,in africa roman editrice archivio fotografico sardo Sassari; 1992, P, -

⁵³ P.171، عائشة سعدان ، تطور المكتبات في شمال إفريقيا القديم الق 3 ق.م، 5 ق.م، مجلة المواقف ، مج.16، ع.1، 2020، ص45-67

⁵³ - Nouredine tili, op.cit.p.163-

2-6 مكتبة بيت بونتيانوس (Puntianus):

تحدث عنها أبوليوس في كتابه الدفاع أو الشهير بالسحر، تتواجد هذه المكتبة في بيت صديقه بونتيانوس في مدينة أويا وقد عرف بوجودها عندما زار صديقه أثناء رحلته إلى مصر التي لم تكتمل بسبب المرض، كما دلت الأدلة الأثرية أيضا على وجود العديد من المكتبات الخاصة، ألحق الكثير منها بالفيلا مثل فيلا سيلين غرب المدن الخمس ومكتبة فيلا دار بوك عميرة بزيلطن بليبيا حاليا، كما ألحقت بالحمامات مثل حمامات هادريانوس Hadrianus بمدينة لبدة الكبرى ، بالإضافة إلى مكتبة تعود لعهد الإمبراطور سبتيم سيفار ضمت مختلف الكتب البونية والرومانية⁵⁴.

3. مصادر تمويل المكتبات العامة:

تدل مختلف التنقيبات الأثرية على أن بناء المكتبات والمعالم العامة هي مهمة تكفل بها المواطنون الأثرياء وذلك حرصا منهم على زيادة شعبيتهم وسط عامة الشعب، من ذلك مثلا ما قام به بليبي الأصغر حين أهدى بعضًا من كتبه إلى بلده الأصلية كومو. وقد كلفته العملية: مليون سيسترس يضاف إليها إيجار مقداره 100,000 سترس لصيانتها.

كما عمل كل من تيتوس فلافيوس بانتينوس ، وابنه وابنته ، على منح مدينة أثينا "الأعمدة الخارجية ، ودور الحضانة ، والمكتبة ، الكتب والزخارف" التي تملكها العائلة ، وتشير المعلومات المسجلة في إهداء النقش. إلى أنه قد تم إنشاء هذه المكتبة المتواضعة الواقعة جنوب رواق أتالوس حوالي عام 100 بعد الميلاد ،

مكتبة تيمقاد ، شُيّدت هذه المكتبة - التي سبق ذكرها، على نفقة السناتور السيد يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روغاتيانوس بمبلغ 400000 سيسترس، وهو ما يعادل، حسب قوله، ضعف الراتب السنوي لأعلى موظف حكومي⁵⁵.

ونظرا لعدم وجود ما يثبت دفع البلديات تكاليف بناء المكتبات، ضف إلى ذلك يتعين على "المتبرعين" شراء الكتب والقيام بالإصلاحات التي تتطلبها صيانتها في حالة حدوث أضرار هيكلية للمكتبة والتكفل بالموظفين الذي يشرفون على إدارتها، والتكفل بالناسخين (librarii) المكلفين بنسخ الكتب. وتجدر الإشارة هنا إلى تواجد مجموعة من الموظفين في المكتبات الإمبراطورية في روما (معظمهم من العبيد ، ويطلق عليهم اسم bybliothecis) : على الأقل منذ أن كان كلوديوس يوجد على رأسهم وكيل نيابة مكتبة⁵⁶

4. طرق تخزين وحفظ الكتب (المخطوطات) في المكتبات الرومانية:

كانت لفائف ورق البردي (مجلدات) محفوظة في خزائن خشبية مرتبة في كوات محفورة في الجدران. وتغلق بواسطة الأبواب الخشبية. في كل قرص ، يمكن وضع اللفافات جنبًا إلى جنب على مستويين أو ثلاثة مستويات ، أو ترتيبها في شكل هرم في مجموعات

⁵⁴ - أحمد محمد اديشة، المكتبات الرومانية، مجلة التربوي، العدد 3، جوان 2013، ص 287، عائشة سعدان ،المرجع السابق، ص 58

⁵⁵ - girard couloun ;op.cit. p33-

⁵⁶ - Konrad vossing ,op.cit, P.179-

من خمسة أو عشرة لفائف . من أجل تحديد كل لفة على حدة، يتم ترتيبها على الطريقة الآتية: ثلاثة في القاعدة ، واثنان في الوسط وواحد في الأعلى. ومن أجل التعرف عليها يوضع ملصق معلق (titulus) يحمل عنوان العمل. وغالبًا ما كانت هناك حاجة إلى عدة لفات لعقد العمل بأكمله. ويتم بعد ذلك جمع العديد من الأحجام في حزم ليتم حفظها في صناديق أسطوانية مصنوعة من صفائح من خشب الزان يُطلق عليها اسم الكبسولة أو السكين. ومن أجل تحديد أكثر عقلانية كان لكل خزانة (armaria) في المكتبات الكبيرة رقم، ومن المحتمل أن يكون الشيء نفسه صحيحًا في الداخل ، لكل رف⁵⁷.

أما ترتيب المؤلفات في القاعات فكان حسب الفئات: التاريخ والجغرافيا، الفقه، الطب، والشعر، وكانت توضع صور المؤلفين على الخزائن كإشارات للقاريء عن نوع الكتب المرتبة داخل الدرج أو على رفوف المكتبة⁵⁸.



Girard Coulon, op.cit.p3

كما اهتموا بالحفظ الوقائي،، يوصي فيتروفيوس بأن يكون بناء للمكتبات باتجاه شروق الشمس من أجل تجنب الرطوبة التي تولدها الرياح في الغرب والجنوب لتجنب الديدان والفطريات والحشرات الضارة الأخرى ، وكان من المعتاد طلاء ورق البردى بزيوت الأرز مما أعطاها صبغة صفراء ذكرها العديد من المؤلفين القدماء ، بل وزعم أنه تم إضافة بضع قطرات من الشيح إلى الحبر لإبعاد الفئران التي تكره الرائحة.⁵⁹

ومن القواعد الإجرائية للمكتبة ، القواعد التي تتضمنها الوثيقة التي أطلق عليها اسم Pantainos ، تنص إحدى القواعد المعتمدة في هذه الوثيقة على أداء زوار المكتبة من القراء القسم قبل الدخول إلى المكتبة على عدم سرقة الكتب من المكتبة . كما تتضمن هذه الوثيقة مطالبة الموظفين بالالتزام بساعات العمل الممتدة من الساعة السابعة إلى الساعة السادسة مساءً ، والموزعة على الشكل التالي: صباحاً ، من الساعة السابعة حتى وقت الظهر تقريباً، ومساءً من زمن الظهر تقريباً إلى الساعة السادسة مساءً. تتوافق هذه

⁵⁷ 31-35 Girard Coulon, a Revue L'Archéologue. Archéologie nouvelle, n° 72, juin- juillet 2004, p. 31-35

60-59

Noureddine tlili ,op.cit.p.167-⁵⁸

Girard Coulon, op.cit.p. 31-35⁵⁹

الساعات مع توصيات فيتروفيوس الذي يوفر له اتجاه المكتبات نحو شروق الشمس إضاءة طبيعية أفضل طوال الصباح ، وهي ساعات مكرسة بشكل عام للقراءة والدراسة، واستعارة الكتب،⁶⁰. وتستغل أيضا كمكان للنقاش وتبادل الأفكار وكذا بعض الأمور الادارية.⁶¹. ومازالت هذه الأنشطة تقام في المكتبات في الوقت الحاضر.

5. خاتمة :

إن ما كتب حول الجوانب الثقافية لشمال افريقيا ما هي إلا شذرات قليلة، إلا اننا يمكن من خلال ما كتب التأكيد على أنها تمتلك المقومات الحضارية والثقافية التي تسمح بالاشادة بها والافتخار بمنجزاتها، وما المكتبات والمدارس و المسارح و الحمامات، والانتاج الأدبي والفني والعلمي الذي خلفوه إلا دليلا قاطعا على مدى حرصهم واسهامهم في تطور الحضارة الانسانية عكس ما سجلته المصادر القديمة التي سعت إلى تغييب المنطقة المغاربية . والحكم عليها بأنها منطقة مُبْهَمة عقيمة، إن الأمر الذي لا يختلف عليه إثنان أن الوضعية التي اجتازتها المكتبات في شمال إفريقيا قديما لم تكن لتصل إلى هذا المستوى من النضج لولا مساهمة أولئك الرواد من المثقفين الذين عملوا بجهد على تحسين أدائها المعرفي والثقافي والحضاري. إلى جانب الدور الهام الذي قام به المواطنين الأثرياء في تمويل المكتبات ماديا.

Ibidem-⁶⁰

Bueno guardia;op.cit p.26 Antonio Lopez Garci,Miriam -...-⁶¹